فشاهدها تتألّق ضياء ، واحسّ بان صمت ذلك الليل الهادئ قد انقطع ، واذا انغامٌ بعيدة تحمل اليه هذه العبارة العذبة المؤثّرة : « السلام لبني البشر ذوي الارادة الصالحة ! »

. . .

من ذلك الحين ، لم يعد اكتافيوس يبحث ، بل صار يؤمن ويحبّ . وذلك السلام الالهي لم يفارقهُ اصلًا . وما مرّ على ذلك الاحضاء شهران حتى مات . . . وآخر كلمة لفظها هي اسم تلك التي صادفها قرب بيت لحم . ففاضت نفسهُ وهو يقول : « مريم ! »

وبحثوا في مذكّرات هذا الروماني الشابّ ، فوجدوا أنّها انتهت في ٢٥ كانون الثاني وقد خُتمت بهذه الكلمات : «طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله ! » ووجدوا في ذيل هذه الكلمات اسمَ تلك التي قدّست شفتيهِ عند ساعة موته ، ألا وهو اسم « مريم »

(عن رسالة قلب يسوع)

خطّة حديثة لتهذيب الناشئة

لحضرة الاب يوسف مناسّا اليسوعي

للانسان خواطر تجيش في صدرهِ وافكار تتضارب في رأسه ، ان هو فسح لها حملتهُ الى اقاصي حدود الشطط ، وقذفتْ بهِ الى مواطن التهوّس . شأن امرأةٍ تطرّفت بهواجسها مؤخّرًا وشردت بتصوراتها . ويا حبّذا لو وقفت دون ذلك الحدّ ، بل راق لها ان تخطو خطوة الى ان تجاهر بتلك المبادئ . فرغبت الى جُلّة شبيتنا ان تُنكّب بهم عن محجّة مقاليد اجدادنا ، وتحيد عن افكار قرّرتها العصور السوالف . وكان أن لحسن طالعها ، مدّت اليها الظروف يد الاعانة

حظيَت تلك السيدة باقتراح رفعهُ اليها نادي شبيبةٍ زاهرة في احدى مدننا

العظمى . فلبّت دعوته عن طواعية وارتياح . . . أمّت ذات ليلة قاعةً رحبة تأبّ اليها الشبان من كل صوب فغصّ بهم المكان . وما كانت الّا هنيهة حتى نهضت الخطيبة من صفوف الحاضرين ، تتهادى تحت وقر افكارهـا . . . ثم تسلّقت درج المرسح ، واستهلّت خطابها بصوت جهوري ينبعث من صـدر قوي موقن بمتانة الحجّة ، واثق بصحة الدعوى . . . .

وخطيبتنا من ذوات الحنكة ورّبات الافكار . . . ممن يُستشفى برأيهن ويُرجع اليهن فيما يهم من الابحاث ! . . . قالت «انها نظرت ملياً في تثقيف الناشئة فشقّ عليها منظر ذاك النهج المألوف ، الذي يسلكهُ الوف مؤلفة من الاساتذة وتلامذتهم على غير دراية . . . فما اجدرنا ، معشر الحضارة وارباب الغيرة الملتهبة ، ان نعدل عنه جرياً على سُنَن التقدُّم والارتقاء ، وخوفاً على احداثنـا اليوم ورجالنـا الغد من التورُّط في الجهالة . . . »

اياك والعجب يا هذا . . . فلو ابديت الدهش من مثل تلك التصريحات نسبوك الى غباوة رأي وخُرق عقل . . . امّا الخبير اللبيب على رأي السيدة المصلحـة فكلما دقّق وامعن في ادارة مدارسنا ، زاده ذاك المشهد اسفاً . . . هنـاك امور يكاد لا يؤسى كَلْمُها ولا تُسَدُّ ثُلْمتها . . . الّا بتقويض صَرح تلك المعاهد ، وتشييد غيرها على انقاضها ، ولولا ذلك لحلّنا تيّار الامور الى وخيم العاقبة

واليك ، ايها القارئ اللبيب ، شيئاً ممّا قالته الخطيبة في صدد ذاك الأَوَد : « قد سمعتُ الاباء يتأوّهون ، بل شاهدت الأمهات يذرفن الدموع مدرارًا على مـا لحق اولادهم من الأسقام والعلل ، ناهيك بالاسباب : هنـاك بين جدران ساحة يقضي الشابّ معظم وقته في الجهد الجهيد ليتلقّن علوماً عديدة ، ويتدرّب على فنونها بالتمارين الشاقّة ، من نموذجات يضطرُّ بالكد الى ان يودعها ذاكرته يوميًّا . . . ، ومن فروض يُكرَهُ على إنجازها . . . ثم مراعـاة السكوت ، ثم المآكل الشظفة ، ثم الفحوص وما تقتضيه من التعب والقلق والخوف والحزن ، والى غير ذلك ممّا يكدّر على تلك الشبيبة الغضّة صفاء عيشها ، ويذهب بنضارتها ، الى الامراض التي لا تُعالج ، والكآبة التي لا تُكشف ! . . . واهاً لشبيبتنا احدقت بها المحن من كل جانب ! . . ويا لها من مدارس حاكت بل فاقت السجن الاسود القاتم والاشغال الشاقة ! . . . .

« ولو قابلتَ بين خير تلك المعاهد ونفعها . وقارنت بين شرورها وخيراتها أتعذّر عليك ترجيح الثانية على الاولى . فكم وكم يجهد التلميذُ خاطرُه ، ويفرغ الآباء اكياسهم وراء تلك الضالّة المنشودة ! . واي ضالّة ! ليتها تُجدي ولو قتيلًا ! ليتها تفيد ولو ذرّة ! لاسيما حين ولوج الشاب معرك الحياة . . امري ماذا تجدي آنئذٍ الرياضات العليا ؟ ماذا تجدي ادبيّات اللغة . وفنّ الخطابة ؟ ماذا يُجدي العروض والفلسفة ؟ ماذا تجدي سوى التشدّق والتقلّف والتعجرف ؟ فذلك لمّا يحمل المرء على نبذ البساطة والسذاجة ، ويبعثه على التخلّق بصفات تُقصيه عن ذويه ! . . . »

هذا ما صرّحت به الخطيبة وما انها من ذوات الفكر اللواتي لا يرمُقنَ الامور الّا من وجهتها العمليّة ، أحبّت ان تشفع وصف الداء باقتراح الدواء . فارتأت ان التلاميذ لو أُطلق لهم العنان وفُسح لهم في تدريبهم وفقاً لاميالهم ، لترتّب على ذلك فوائد جزيلة . لان سيرهم هذا من تلقاء انفسهم ، يؤدّي بهم الى درجة شائقة من الرقي والتهذيب ، وربّما يرعوا فيهما ويرتزوا . . ولا عجب : أفليس في قلوب هؤلاء الاحداث قوًى أبَتْ الّا السموّ والازدهار ؟ فانّى البلوغ اليها لو تصدّى الاساتذة للناشئة يضغطونها تحت تعاليمهم الباهظة ، ويقسرونها بنير سلطتهم التي ليست على شيء من الفطنة والحرّيّة والانسانيّة ؟ . . اوما تظلّ تلك القوى مستكنّة في قلوبهم كالنار تحت الرماد حتى الخمول . حتى الموت ! . . (كذا)

وختمت بقولها : عليكم اذن ايها الآباء ان تُصلحوا الخلل وتحسموا الداء ! اولادكم في سجنٍ موثقون هلموا فاكسروا قيودهم ، وهيّوا الى ذاك السجن وانزعوا من شقائه هؤلاء التعساء . اياكم والتقاعد في سبيل تحريرهم ، بل اسرعوا اليهم اشفاقاً منكم على صحّتهم من ان تعتريها الاسقام فتُنهكها وتفسدها مدى الحياة ! ايها الآباء اتركوا اولادكم يمرحون في الحقول والمروج تارةً يتسلّقون الاعشاب وطوراً يهبطون في السهول . بين ازهار تنعش بعطرها ، وطيور تطرب بتغريدها ، ومناظر تفتن ببدائعها ، حتى اذا قضوا النهار على ذاك المنوال ، وهم اولادكم بالاياب — لو احبّوا ! — فلا شك انهم يشعرون بانفسهم وقد قطعتْ مرحلةً بل مراحل في طريق الكمال ! . . ولو تحقّق ذاك في بضع ساعات فما عسى النتيجة ان تكون مدة اشهر او سنين ! . . (كذا)

***

أجيلُ بها من افكار تسكن جأش الآباء وتطمئنهم عن مستقبل اولادهم . وتغنيهم عن بذل المال بكلتا الحفنتين ! أجيلُ بها من افكار لَدَتْ الا مناصرة الضعفاء على من اغلظوا عليهم وناق التهذيب ! . .

ولكن وددنا من خطيبتنا لو أشبعت الكلام في ذاك الموضوع ، فجلَتْهُ من جميع وجوهه ولو فعلت لهان علينا المقارنة بين تهذيب الناشئة كما أَلِفناهُ بمزاياه وعيوبه ، وبين الخطة التي ابتدعتها مع مزاياها وعيوبها . . هَبْ ان لم تخلُ من آفات ! . .

ولعلَّ سيدتنا تلظّت وتلهّبت على مدارسنا لما أُوتيت من دماثة الاخلاق وسماحة السجيَّة فلو لم يكن سوى ذلك لأثنينا على لطف طباعها وشيمها المحمودة . . غير ان الخطيبة ركبت الامر على غير بيان فرمت الكلام على عواهنه . وكأني بها اغفلت ذاك المبدأ المنطقي بعد ان تصفَّحته في سِفر الطبيعة ، وهي تجول في اريافها البديعة ، وهو ان الآفات العرضيَّة لمَّا لا يُكترَث لهُ بالنسبة الى جوهر الامور . فتلك الاعراض ربَّما طرأت اليه بعد تكوينه ، او بارحته قبل عطَبه . ومن ثمَّ تميزتْ عنهُ . — ومثل ذلك في كوننا الاجتماعي ، ألا ترى كل ادارة ولو برزت على اكمل منوال ، كثيراً ما تعتريها نقائص تكون تتسرَّب اليها من الخارج فتشوّه وجهها ، وتعيق حركتها ، وربما ذهبت بحياتها ، ولو وقف العاقل على جلية الامر لَما نسب الى تلك الادارة خللًا اصابها بالعرَض من الخارج

اجل نسلّم بوجود نقائص عديدة جسيمة داخلت ولا تزال تداخل بعض معاهدنا فمنها ما اصبحت عقيمة التناسج ، مضرَّةً للهيئة الاجتماعية . . . . ولو وددنا لتلك المدارس المتورّطة التسلُّس من ورطتها ، وأَمّلنا لها نجاحاً هي جديرة به ، لوَجب ان نُعمل المبضع في اعضائها الفاسدة فنبيد الداء «العرضي» دون ان نهلك معهُ الجسم والحياة . . كما تزعم الخطيبة برأيها المتطرّف

وقد شطَّت في غلوائها وبالغت في ضلالتها ، باطلاقها احكامها على سائر المعاهد طُرًّا دون امعان وروية او نسيَتْ تلك المحنَّكة أن بلادنا حظيت بمدارس حافلة بالشبيبة توافيها من اقاصي الاقطار ، رغبة منهم في العلوم المتقنة والمبادئ الراهنة ؟ فلو لم تكن المعاهد على شيء من الجد فكيف اصبحت محطَّ ثقة الآباء وآمال

الابناء ؟ ولو كانت سجناً تموت فيهِ الشبيبة وُجوماً، وتذبل على مقاعده زهرتها جزعاً، فما معنى ذاك الحبور والجذل والبهجة التي تبدو على محيَّا هؤلاء الشبَّان ؟ . . . وكم وكم شاهدنا اكثرهم ، وهم على وشك الوداع والمبارحة لها ولمعلّميهم ، يُعربون عن اسفهم وكآبة قلوبهم ! . فيبتعدون وذكر «سجنهم» يؤانسهم ويسامرهم في حياتهم الجديدة ، يترصّدون فيها فرصة تجمعهم ولو ساعةً باساتذتهم وسالف رفقائهم ! . . . لعمري ما ذاك الامر الخارق ؟ سجين يهوى سجنه . وموثق يحب سلاسله ! . .

. . .

وهنا امرٌ آخر لعلَّ الخطيبة لم تقف عليهِ في تنزاهتها . او ذهلت عن ذكره وهو ان الاعمال تشفّ عن حقيقة علّتها كما ان الثمار تكشف عن طبيعة شجرتها . — قد ثبت لدى كل ذي بصيرة وخبْرة أن عددًا اوفر من ان يُحيطَ بهِ احصاء من متخرّجي مدرستنا بعد ان جاهدوا بعض الجهاد في مضمار الحياة، ما لبثوا بان فاقوا على اترابهم ، فحازوا قصب السبق ، وما زالوا يجرون الى ابعد الغايات حتى وصل بعضُهم الى ما تناءُ منها . وكان فرزُ هؤلاء النوابغ للمعاهد التي تخرّجوا فيها اقوى داعٍ للمفاخرة

. . .

اما الخطة التي فكّرت السيّدة المتشدّقة في تعزيزها فانّنا نخالها من الخوارق . ولو لم يبلغنا عنها ، أنها تعاشر الناس وتوالفهم ، لقلنا إنها لا تخلو من اللمَم والوسوسة

نسيَتْ ان الفتيان ، مهما أُوتوا من العقل والحزم وسائر القوى الغريزية ، فليسوا في غنى عن التثقيف والتهذيب . فانَّ قلوبهم وان لانت وخُشنت لا يكاد ينمو فيها الزرع الّا وتكتنفه الاشواك فتضيّق عليهِ حتى تخنقه . لا مشاحّة ان غرائز نفيسة اودعتها العناية الالهية قلوب فتيان وفتيات ان أُهملت لا تلبث ان تفسدها الاميال المنحرفة . . ولا تزال ان تعيث فيها فسادًا حتى تذهب بقوتها ونضارتها وحياتها . — نسيت ان الطبيعة لما فيها من جراثيم الفساد لن تأتي بشيء مستحسن ، لو تُركت وشأنها

وددنا لو فطنت الخطيبة لتلك الحقائق السلامعة — وددنا لو باشرت الحقائق البشرية كما يرمقها البشر ، لا من خلال تصوراتها ، بل مباشرةً باعينها — وددنا لو نظرت في الكون بما هو عليه ، من التناسق والتآلف والقوى والآفات — وددنا . . —

وليتها بعد سالف تهوّرها في سبيل الضلال، ترجع الى منهج الحق فتهتدي به، وتطاب اليها بالحاح الأ تُملي لشبانتها فتُورطهم في الغرور، ولا تسوّل لهم التغرير فيزيغوا عن وضح المحجّة. ثم نوعز اليها ألّا تتأنق من الآن فصاعدًا مثاير الخطباء قبل ان تمحص كلامها وتعرضهُ على بودقة السداد ومحكّ الرشد والانتقاد

صورة ايمان السيّد اغناطيوس متى

بطريرك السريان اليعاقبة (١٧٨٢–١٨١٧)

نشرها حضرة القس اسحاق ارمله

تحرير

في خزانة الكتب خاصة كنيسة السريان الكاثوليك بماردين صورة ايمان السيّد اغناطيوس متيوس او متّى بطريرك السريان اليعاقبة واقراره بحقائق الكنيسة الكاثوليكيّة. وهي مكتوبة بخطّ يده بتاريخ سنة ١٨١٥ وقد رويناها اخيرًا في المشرق عام اوّل (ص ٦٦٥) وذكرنا هناك هذا الاثر المحفوظ في خزائن الدار البطريركيّة فاستنسخناهُ واليك نصّ صورة الايمان بحروفها ا ١ ١

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

اعلم ايها الشعب المستفهم أرشدنا الله واياك بنوره الساطع آمين

نبتدئ بوجوب الحمد لله الذي على رجائه ابتدأنا بشرح حقائق الايمان البطرسيّ القاثوليقيّ الذي اعلنهُ الله ذاته للطوباويّ بطرس هامة الرسل وصرّحت به تقاليد السيد المسيح نفسهِ واستودعهُ الى خلفائهِ وهم الاحبار الرومانيّون القائمون والثابتون في الكرسيّ الرسولي الروماني المؤسس والكائن في بيعة رومية التي شادها المسيح وركلاؤه اعني الطوباوي بطرس وسائر الرسل. ولذلك اشهد بكلّيّتي وبكلّ عزمي